ملامح التفسير الموضوعي
في معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ الميداني
سورة ق نموذجاً

د. عفاف عبد الغفور حميد
الأستاذ المشارك بقسم أصول الدين – جامعة الشارقة

المقدمة

الحمد لله منزل الكتاب على النبي الأمين والصلاة والسلام على مبلغ الأمانة وناصح الأمة محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يعد التفسير الموضوعي أحد اتجاهات التفاسير الحديثة اصطلاحا مع وجود جذورها في تفاسير السلف، ولهذا النوع فوائده ومميزاته التي تكشف عن مراد الله في كتابه من خلال إبراز الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، وخصوصا الاجتهاد في معرفة التناسب بين آيات السورة المختلفة ومقاطعها.

يعالج البحث إشكالية مهمة في العلاقة بين التفسير التحليلي في تفصيله، والتفسير الموضوعي في إجماله، بإمكانية الجمع بينهما متخذين من معارج التفكر نموذجاً، وهكذا يهدف هذا البحث إلى الكشف عن هذا التفسير وأهميته في الربط بين آيات القرآن ومقاطعه ومحور السورة لإظهار الوحدة الموضوعية والتناسق بين أجزاء السورة، وهو أمر لا يتأتى للمؤلف إلا بعد طول النظر والتدبر لكتاب الله تعالى.

وتتجلى **أهمية هذا البحث** في الكشف عن ملامح التفسير الموضوعي في «معارج التفكر ودقائق التدبر» للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، ومدى تحقيقه لعناصر التفسير الموضوعي.

وستأتي **خطة البحث** في تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد: التفسير الموضوعي في السورة والموضوع.

المبحث الأول: التعريف بالمفسر ومنهجه في التفسير

المبحث الثاني: ملامح التفسير الموضوعي لمعارج التفكر من خلال سورة (ق)

المبحث الثالث: أهمية التفسير وقيمته العلمية مقارناً بغيره

الخاتمة: خلاصة ونتائج البحث

التمهيد: التفسير الموضوعي في السورة والموضوع

ألفت كتب في تفسير سورة قرآنية تأليفاً مستقلاً قديماً وحديثاً، نظرا لأهمية السورة، أو لاهتمام المفسّر بغرض يتعلق بالسورة، وقد يكون هذا التفسير تحليلياً أو إجمالياً أو مقارناً، أو معالجاً قضية محددة، كما ظهرت مؤلفات كثيرة قديماً وحديثاً تعالج موضوعات محددة في القرآن الكريم.

الأول: التفسير الموضوعي للسورة

إن تفسير السورة تفسيراً موضوعياً لون من ألوان التفسير له منهجه وضوابطه وخطواته الخاصة، مع الاستعانة بأنواع التفسير الأخرى. وقد ذكر المختصون والدارسون الخطوات المنهجية المحددة لهذا النوع[1]، ونذكر الخطوات المتفق عليها بينهم بشكل إجمالي وهي:

1 – التقديم للسورة بتمهيد يعرّف فيه بأمور تتعلق بالسورة من ذكر سبب النزول والمرحلة التي نزلت فيها السورة: مكية أو مدنية متقدمة أو متأخرة، وما ورد فيها من أحاديث صحيحة تحدد أسماءها، أو بعض خصائصها أو فضائلها. وهذه الخطوة تكتب تحت عنوان: بين يدي السورة[2]، والتدرج في هذه الخطوة يبدأ كذلك حسب المراحل الآتية:

أ. ذكر اسم أو أسماء السورة التوقيفية، وحكمة تسميتها بذلك الاسم، والصلة بين اسمها التوقيفي وموضوعها العام، ثم يذكر اسمها الاجتهادي من قبل العلماء

(1) من هؤلاء الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم في كتابه «مباحث في التفسير الموضوعي»، والدكتور صلاح الخالدي في كتابه «التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق» والدكتور زياد دغامين في كتابه «التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه»، والدكتور زاهر عوض الألمعي في كتابه دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

(2) راجع: مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ص 40، 41، ط 4 دار القلم، دمشق، 2005م.

السابقين أو المتأخرين مع بيان الصلة بين ذلك الاسم وموضوعها، ويستعان في التوقيفي بكتاب نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي.

ب. تحديد زمان نزول السورة ومكانها، ونوعها مكية أو مدنية، أو مكية وبعضها مدني أو العكس، ومحاولة تعليل ذلك، وضمن هذا يبين المفسر جوّ نزولها، وهي في مرحلة متقدمة أو متأخرة في كل من المكي أو المدني، والوقوف على مظاهر قوة المسلمين وتفاعلهم مع التربية النبوية ومستوى العلاقة بينهم وبين أعدائهم في مكة أو المدينة، ومعرفة الخلل في بناء المجتمع الذي تعالجه السورة.

2. التعرف على الهدف الأساسي للسورة أو المحور الذي تدور حوله السورة، أو مقاصدها الرئيسة، والطريق لتحديد الهدف أو الأهداف من خلال أمور: إما بدلالة اسم السورة أو أسمائها التوقيفية، أو من خلال استعراض الأحداث البارزة والقضايا الرئيسة التي تناولتها السورة، ويمكن كذلك معرفتها من خلال المرحلة الزمنية التي نزلت فيها السورة، ومن المعلوم أن السور المكية ركّزت على تقوية الإيمان بالله وحده، والبعث بعد الموت، والإيمان بالرسالات السماوية، والدعوة إلى أمهات الأخلاق، فقد توجد مجتمعة أو متفرقة فيها، أما المدنية وفضلاً عمّا سبق استهدفت بناء المجتمع الإسلامي على أسس الإيمان والتشريعات التفصيلية في شؤون الحياة وحماية المجتمع من الأخطار الداخلية والخارجية.

مع ملاحظة أنه قد يكون للسور أكثر من هدف أو محور تدور حوله دون تناقض ولا تعارض، بل يمكن رصد كل محور من خلال زاوية معينة كما هي مسارات الأفلاك للكوكب، وقد تتداخل من غير صدام[1]. وهنا يمكن ربط المحاور بالمحور الرئيس للسورة، حيث أن لكل سورة شخصيتها المتميزة على بقية السور، وهذه تشكل موضوعها الرئيسي وعمودها الأساسي.

(1) راجع: المصدر السابق، ص 41 -43، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق ص 73-74.

وكل الخطوات السابقة تتأتى من خلال القراءة التدبرية المتأنية في كتب التفسير، وخصوصا تلك التفاسير التي تعتني ببيان المناسبات وكتابة المقدمات للسورة كالظلال حديثاً، ونظم الدرر وتفسير الرازي وابن حيان وغيرهم.

3. تقسيم السورة – وخاصة الطويلة – بعد المقدمة إلى مقاطع أو فقرات أو دروس حسب ما يصطلح عليه المفسر، كل منها قد يتضمن آية أو مجموعة آيات من السورة تتحدث آياتها عن مجال من مجالات المحور، واستنباط الهدايات القرآنية منها وذكر المناسبات بينها، وبيان الصلة بين آيات كل درس ثم الصلة بين الدروس، بحيث تتكامل الدروس أو المقاطع على تقرير موضوع السورة وتحقيق أهدافها.

4. ربط المقاطع أو الدروس وما يستنبط من هدايات من كل منها بالهدف الأساسي للسورة بقصد إظهار هذا الهدف. وهنا يستخلص أهم حقائق السورة وأبعادها وكيفية معالجتها لمشكلات الواقع المعاصر، وقد يأتي ذكر الهدف تحت عنوان الخاتمة. وبذلك تبدو السورة - موضوع البحث- وحدة موضوعية واحدة، ذات شخصية بارزة وموضوع عام واضح.

وفي هذا النوع من التفسير لا بد من بيان العلاقات بين أجزاء السورة مع بيان المناسبات فيها وهي على أنواع:

أولها: بيان تناسب مطلع السورة بخاتمة ما قبلها، وسنجد تناسباً واضحاً عجيباً في التناسب الموضوعي واللفظي، يبرز جانب الإعجاز من ناحية، ويوضح سر ترتيب سور المصحف من الناحية الأخرى.

الثاني: المناسبات بين الآيات في السورة نفسها.

الثالث: المناسبة بين فاتحة السورة وعلاقتها بخواتيمها.

الرابع: المناسبات بين المقاطع أو الفقرات للسورة وربطها بالمحور الأساسي للسور.

وهناك تفصيلات يطول ذكرها وتوضيحها كالمناسبات بين الجمل في الآية الواحدة، وبين الفاصلة لصدر الآية وغير ذلك.

الآخر: تفسير موضوعات القرآن

يقوم منهج تفسير موضوعات القرآن على خطوات أساسية أهمها:

1- اختيار موضوع في القرآن الكريم مما له أهمية كبيرة في حياة المسلم من النواحي المختلفة لإبراز طريقة معالجة القرآن له.

2- جمع الآيات المتعلقة وتصنيفها وفق نزولها المكي والمدني من مختلف سور القرآن.

3- دراسة تفسير الآيات دراسة وافية بمراجعة مصادر التفسير التحليلي مع مراعاة سياقها في القرآن من أسباب ومسببات ونتائج، أو خاص وعام.

4- استخلاص نظرية متكاملة أو قواعد شاملة لمعالجة الموضوع علاجا يعنى بإبراز مقاصد القرآن، ويستشف الهدايات القرآنية من النصوص بما يثبت سبق القرآن وتميزه، ويتفق مع القضايا الإنسانية والمشكلات المعاصرة، مع دفع توهم الاختلاف والتعارض بين آيات الموضوع الواحد.

وينطبق هذا المنهج في الدراسة لمفردة من القرآن أو مصطلح قرآني، وهناك جهود كبيرة في العصر الحديث لمعالجة قضايا اقتصادية واجتماعية وفكرية وثقافية تسلك هذا المنهج ومنها: الأمانة في القرآن الكريم دراسة موضوعية: آمال رفيق شديد، وعوامل النصر في القرآن: عبد العزيز التميمي، وقصة صالح عليه السلام كما بينها القرآن الكريم، دراسة موضوعية: محمد حزمي، وقضايا العقيدة في ضوء سورة ق: كمال محمد عيسى، وقضايا المرأة في سورة النساء: د. محمد يوسف1، وقد قامت مؤسسة متخصصة بتنفيذ

(1) راجع المصادر السابقة الواردة في الهامش الأول حيث تناولت تلك الدراسات خطوات نوعي التفسير.

خطة مشروع متكامل موسوعي لموضوعات القرآن الكريم في ضوء مؤتمر عقد بجامعة الشارقة[1].

المبحث الأول: التعريف بالمفسر ومنهجه في تفسيره

أولاً: نبذة عن المؤلف (عبد الرحمن الميداني)[2]

وُلد الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن مرزوق سنة 1927م في دمشق، وأبوه فضيلة الشيخ حسن حبنكة الميداني من كبار علماء دمشق، ونشأ الشيخ في بيت العلم والدعوة في كنف والده الإمام الذي كان له فضل تربيته وتأديبه وتعليمه في مدرسة والده «التوجيه الإسلامي» على طريقة الأقدمين في الحلقات العلمية، بالتدرج من الرسائل العلمية الصغيرة في كلِّ فنٍّ من فنون العلم، وارتقاء في التحصيل إلى الكتب العلمية الكبرى، ويكلّف طلاب المعهد خلالها بإعداد الدروس والخطب، وكتابة المحاضرات وإلقائها في المساجد، للتمرَّس على مواجهة الناس، وتعليمهم وتربيتهم.

وممن تخرّج من هذه المدرسة نخبة من كبار العلماء: الشيخ صادق حبنكة شقيق الشيخ حسن، والعالم القارئ حسين خطاب شيخ قراء دمشق، والشيخ كريِّم راجح شيخ قراء دمشق، والدكتور مصطفى الخن، وغيرهم.

---

(1) راجع: مشروع موسوعة يقوم به كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود بالرياض منذ 2013م، وراجع تفاصيل خطة الموسوعة من مركز تفسير للدراسات القرآنية في موقعهم: www.tafsir.net ويتضمن مبادئ العمل وضوابطه داخل الموسوعة في 18 نقطة، وقد أنجزت أكثر الموضوعات وهم في طور الطباعة.

(2) راجع في سيرته وحياته العلمية عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر (زوجي كما عرفته): عائدة راغب الجراح، ط دار القلم، دمشق 2001م في 160ص. لمحات من كتاب معارج التفكّر ودقائق التدبُّر للعلامة عبد الرحمن حبنكة الميداني: مجد مكي، وموقع ويكبيديا على شبكة المعلومات (الإنترنت).

تخرَّج الشيخ عبد الرحمن في هذا الصَّرح العلميِّ الكبير سنة 1947م، وأسند إليه تدريس مواد مختلفة في الفقه والأصول والتوحيد والمنطق والبلاغة، ثم انتسب إلى كلية الشـريعة في الأزهر سنة 1950م ودرس حتى حاز على الشهادة العالية مع إجازة في التدريس.

وبعد تخرُّجه في الأزهر درّس في ثانويات دمشق العلوم الشرعية، وعُيِّن مديراً للتعليم الشـرعي في وزارة الأوقاف، وانتقل إلى العمل في المملكة العربية السعودية بعد عام 1967م، وعمل أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض لمدة سنتين، ثم انتقل عمله إلى مكة المكرمة، فعمل أستاذاً في جامعة أم القرى قرابة ثلاثين عاماً، وأُسند إليه تدريس مواد مختلفة في الثقافة الإسلامية، والغزو الفكري، والمذاهب الفكرية المعاصرة.

ولَّما بلغ السبعين عاماً أعفي من العمل الرسمي، واختير في هذه الأثناء عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، كما اختير عضواً في مجلس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، وتوفي 2004م.

ومن جهوده المحمودة المبكرة إدارته للتعليم الشرعي التابع لوزارة الأوقاف ومن إنجازاته تأسيس عدد من المدارس الشرعية في بعض المحافظات السورية، مع تأسيس ثانويتين شرعيتين للإناث في دمشق وحلب لأول مرة، وكان له نشاط محمود مع وسائل الإعلام التلفزيونية والإذاعية[1].

ومن آرائه المشهورة لمعرفة قوة الإرادة أو ضعفها في الإنسان أربع نقاط وهي: سرعة مبادرته للخيرات والطاعات، والتفاؤل بالخير دائما، وتلقي الأحداث بصبر ورضى، وملك النفس عند الغضب.

ومن آرائه البارزة في طبيعة اليهود وخصائصه المميزة ما وصفهم به: شعباً شريراً، خائناً، ملتوياً، خبيث الطوية، ماجن السلوك، عنصرياً، مغروراً، جشعاً، يستغل

(1). راجع عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر ص18 – 19.

الآخرين، يثير الفتن، ويبيت المؤامرات ضد الأمم والشعوب الأخرى[1]. ويعد العلم غذاءه الروحي، وهو لا يرى إلا عالما ومتعلما، والوقت عنده أثمن من أن يضيعه بتوافه الأمور، وإنما هو أمانة وثروة[2].

وتقارب مؤلفاته على الثلاثين، ويبلغ عددُ صفحات ما كتبه 23640 صفحة مطبوعة، وكلُّها من بدائع الأفكار، وروائع الحكم، وأصيل العلم، ودقيق الفهم ويُعدُّ الأستاذ الميداني من أعلى طبقات المؤلِّفين[3].

ويأتي في مقدِّمة ثمار جهوده العلمية خلال أربعين عاماً كتابه الفذّ الفريد: «**معارج التفكّر**، ودقائق التدبّر»، فهو نتيجة دراسات طويلة متأنية، وبحوث قرآنية متنوعة، وتأملات فكرية عميقة.

وله سلسلة أعداء الإسلام وهي: الصراع مع الملاحدة حتى العظم، والتحريف المعاصر في الدين الذي يكشف تحريفات شحرور في نصوص القرآن والسنة، وله مَكايدُ يهوديَّةٌ عبرَ التاريخ، وأجنحَةُ المكر الثلاثةُ وخَوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، والكَيدُ الأحمرُ (دراسة واعية للشيوعيَّة)، وغَزوٌ في الصَّميم، وكَواشِفُ زُيوفٍ في المذاهب الفكريَّة المعاصرَة، وظاهرةُ النفاق وخَبائثُ المنافقين في التاريخ.

وقد وفّقه الله تعالى بما حباه من فكرٍ نيِّر، وعقلية ناضجة إلى صياغة علم المنطق، وأصول البحث صياغة متمشية مع الفكر الإسلامي في كتابه: **ضوابط المعرفة** وأصول الاستدلال والمناظرة، وساعدت هذه العوامل المتعدِّدة الشيخ للسموِّ صعوداً إلى «**معارج التفكر** ودقائق التدبُّر». وله بصائرُ للمسلم المعاصِر، والوالدُ الداعيةُ المربِّي الشيخُ حسن حَبَنَّكَة المَيداني، وله في **أدب الدَّعوة الإسلاميَّة**: مبادئُ في الأدب

(1) انظر: مكايد يهودية عبر التاريخ ص13 – 20.

(2) راجع عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر ص21.

(3) لمحات من كتاب معارج التفكّر... مجد مكي على الانترنت.

والدَّعوة، والبلاغةُ العربيَّة (أُسُسُها وعُلومُها وصُوَرٌ من تَطبيقاتها)، وديوانان: ترنيمات إسلاميَّة، وآمَنتُ بالله.

ومن نتاجه المطبوع في سلسلة: **في طريق الإسلام**: 1- العقيدةُ الإسلاميَّة وأُسُسُها 2- الأخلاقُ الإسلاميَّة وأُسُسُها 3- الحضارةُ الإسلاميَّة وأُسُسُها ووَسائلُها 4- الأمَّةُ الربانيَّة الواحدَة 5- فقهُ الدَّعوة إلى الله، وفقهُ النُّصْح والإرشاد.

وله في الدراساتُ القرآنيَّة: 1- قواعدُ التدبُّر الأمثَل لكتاب الله ﷻ 2- مَعارجُ التفكُّر ودقائقُ التدبُّر في 15 مجلداً 3- أمثالُ القرآن وصُوَرٌ من أدبه الرَّفيع. 4- تدبر سورة الفرقان. 5- صفات عباد الرحمن في القرآن.

ويمكن تلخيص منهجه العلمي في التأليف مما ورد عنه بقلم زوجه: تحديد الهدف من الكتاب وجمع الأفكار، وتصنيفها إلى أبواب أو فصول فيحقق الدقة والعمق مع الشمول، ويعالج الموضوع بتفاصيله كلها من البلاغة والأخلاق والعبر والربط التاريخي حسب نوع الكتاب، ويستعين في بحثه بالكتب الأصول، وإن لم تكن في مجال اختصاصه تحرياً للأمانة العلمية، والتحري الدقيق لمعاني الألفاظ بالرجوع إلى أمهات معاجم اللغة[1].

ثانياً: التعريف بالتفسير ومنهجه

صدرت المجلدات (1-3) عام 2000م، واشتملت على تفسير 28 سورة من السور المكية ابتداء من سورة العلق، وانتهاء بسورة (ص)، وصدرت المجلدات (4-6) وقد اشتملت على تفسير سورة الأعراف والجنِّ، ويس، والفرقان وترتيبها 42 من السور المكية حسب النُّزول.

(1). لمحات من كتاب معارج التفكّر ص25 -29

وصَدَرت المجلدات الثلاث (7-9) وقد اشتمل السابع على تفسير سورتي فاطر ومريم، واشتمل الثامن على تدبُّر السور الثلاث: طه، والواقعة، والشعراء، واشتمل التاسع على تدبُّر السُّور الثلاث: النمل والقصص والإسراء.

وصدرت المجلدات الثلاث (10-12) واشتمل المجلد 10 على تدبّر السور الثلاث: يونس، وهود، ويوسف، واشتمل المجلد 11 على تدبّر السور: الحجر، والأنعام، والصَّافَّات، ولقمان، واشتمل المجلد 12 على تدبّر السور الآتية: سبأ، والزمر، وغافر، وفصّلت، والشورى، والزخرف.

وأما المجلدات الثلاث (13-15)، فقد اشتمل 13 على تدبر ثماني سور: الدخان، والجاثية، والأحقاف، والذاريات، والغاشية، والكهف، والنحل، ونوح، واشتمل المجلد 14 على تدبُّر السور: إبراهيم، والأنبياء، والمؤمنون، والسجدة، والملك، والحاقة، والمعارج، أما المجلد 15 فقد بدأ فيه من سورة النبأ 80 نزول، وينتهي بسورة المطففين 86 نزول، وهكذا يكون الشيخ أتمّ فيه التنْزيل المكي حسب مراحل النُّزول ويمثل ثُلثي التفسير، ويبقى لكمال التفسير عشر مجلدات، ويتمُّ التفسير في خمس وعشرين مجلداً.

هذا التفسير أقامه مؤلفه على ترتيب نزول القرآن الكريم، وليس على ترتيب المصحف كما هو عند عامة المفسرين، حيث يقول مبيناً سبب اختياره هذا المنهج: «وقد رأيت بالتدبر الميداني للسور أن ما ذكره المختصون بعلوم القرآن الكريم من ترتيب النزول، هو في معظمه حق، أخذاً من تسلسل البناء المعرفي التكاملي، وتسلسل التكامل التربوي، واكتشفت في هذا التدبر أموراً جليلة تتعلق بحركة البناء المعرفي لأمور الدين، وحركة المعالجات التربوية الربانية للرسول ﷺ، وللذين آمنوا به واتبعوه، وللذين لم يستجيبوا لدعوة الرسول مترددين، أو مكذبين كافرين»[1].

(1) انظر: مقدمة تفسير معارج التفكر، ص6.

وقد حاول المؤلف تطبيق ما ذكره في كتابه (قواعد التدبر الأمثل للقرآن الكريم) في تفسيره هذا، يقول رحمه الله: «وبعد، فقد فتح الله عز وجل علي خلال تدبري الطويل لكتابه المجيد، باستخراج أربعين قاعدة من قواعد التدبر الأمثل لكتابه، قابلة للزيادة عليها، وهذه القواعد تقدم للمتدبرين أصول التفسير الأقوم للقرآن، ولم أجد في المفسرين من اهتم بالتزام مضمونها، ولا بالتزام كثير منها» [1].

وقد أثّر هذا الترتيب – حسب النزول[2] – الذي التزمه على جوانب تفسيره خصوصاً في الربط بين السور ومناسباتها، أما خطوات منهجه في التفسير المتضمنة بعض **ملامح التفسير الموضوعي** فيمكن تلخيصها بما يأتي:

1- يبدأ الشيخ بذكر **رقم ترتيب السورة** في المصحف، **وتسلسل نزولها، ونوع السورة** مكية أو مدنية، ثم يذكر **نص السورة** من المصحف تحت عنوان «نص السورة وما فيها من فرش القراءات»، ويضع خطاً للكلمات التي فيها أكثر من قراءة، ويذكر في الهامش رقم الآية واللفظة المختلف بقراءتها ونسبة القراءة للمقرئ بشكل موجز.

2- يذكر **ما ورد في السنة بشأن السورة**، كفضائل السورة وما جاء بشأنها من روايات، وأسباب نزول إن وجد مع ذكر تخريجه ضمناً دون ذكر السند.

3- يبين تحت عنوان «**موضوع السورة**» الموضوعات التي تدور حولها السورة، وهو ما يسمى عند المختصين بمحور السورة أو أهداف السورة.

---

(1) انظر: مقدمة تفسير معارج التفكر ص5.

(2) اختلف العلماء في حكم ترتيب المصحف حسب النزول بين المجيز والمانع، ولست بهذا الصدد وإنما يركز البحث على العلاقة بين منهجه في تفسير السورة والتفسير الموضوعي، وهناك فتوى تجيز ذلك بالتفريق بين الترتيب في المصحف من أجل التلاوة، والترتيب في المصحف من أجل التفسير.

4- يقدم **دروس السورة** بتسلسل مترابط بالنظام الشجري، حيث لا يرى ضرورة مناسبة المقطع أو مجموعة آيات الدرس بما قبله، بل يكفي مناسبتها وارتباطها بفرع من فروع المقاطع.

5- **التدبر التحليلي للدروس** متسلسلة ويعطي كل درس حقه من التحليل من ناحية اللفظ واللغة، والتحليل لمعنى الآية أو الآيات، وقد يذكر خلالها اختلاف القراءات وتغيّر المعنى في ضوئها.

والملاحظ على ما ورد في النقطتين الأولى والثانية أنها توافق منهج التفسير الموضوعي فيما يسمى بين يدي السور أو مقدمات السورة، وتوافق النقطة الثالثة موضوع السورة وما يسمى في التفسير الموضوعي بمحور السورة، وتوافق النقطة الرابعة والخامسة في تقسيم السورة إلى دروس ما يسمى بمقاطع السورة ومراعاة المناسبات بينها غير أنه يتناول كل درس بالتفسير التحليلي قراءة ولغة وبلاغة وغير ذلك، في حين يقتصر أصحاب التفسير الموضوعي على التفسير الإجمالي، وذكر الهدايات المستنبطة من المقطع، وهو يراعي في المناسبات العلاقة بين السور حسب ترتيب نزولها، وستتضح هذه الملامح في المبحث التالي المخصص لسورة (ق).

أما في تفسيره لموضوعات القرآن – الصنف الآخر للتفسير الموضوعي- مما ورد في الملاحق لبعض السور، فتتضح فيه ملامح التفسير الموضوعي لموضوعات القرآن بشكل جلي، حيث يقوم باختيار موضوع مستنبط من السورة، ثم يجمع الآيات المتعلقة بالموضوع من جميع سور القرآن، ويفسرها بعد تصنيفها ليخرج برؤية متكاملة عن الموضوع بما يناسب روح العصر ويسهم في حل مشكلاته.

المبحث الثاني
ملامح التفسير الموضوعي لمعارج التفكر من خلال سورة (ق)

بعد العرض السابق للجانب النظري بإيجاز لمنهجه وما فيه من ملامح التفسير الموضوعي نتناول الجانب التطبيقي في تفسيره لسورة (ق) بعد بيانه لنوع السورة وأنها مكية، وذلك وفق الخطوات الآتية:

1) نص السورة وما فيها من فرش القراءات

كتب ووضع خطاً تحتها مثل: لفظة (مِتنا) فذكر في الهامش رقم الآية (3) وقراءة نافع وحفص وحمزة والكسائي وخلف بكسر الميم، وقرأ باقي القراء العشرة (مُتنا) بضم الميم وهما وجهان عربيان جائزان.

وهكذا فعل مع الكلمات الأخرى، وهي: (ميتا) في الآية 11، و(وعيد) في الآية 14، و(يوم نقول) في الآية 30، و(توعدون) في الآية 32، (وأدبَرَ) في الآية 40، و(المناد) في الآية 41، و(تشقق) في الآية 44، و(وعيد) في الآية 45.

2) ما ورد في السنة بشأن السورة

ما ورد في السنة بشأن سورة (ق): ذكر المفسر أن الرسول ﷺ كانت له عناية خاصة بسورة (ق) ويدل على ذلك عدة أحاديث صحيحة، ذكر ثلاثة جاءت في صحيح مسلم وغيره منها: «كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر في الركعة الأولى ق والقرآن المجيد» أي سورة ق[1].

(1) معارج التفكر، 3/ 10-11.

3) موضوع سورة (ق)

وموضوع السورة يعبر عنه في كتب التفسير الموضوعي بمحور أو محاور السورة، وأهداف السورة[1]، وهنا يربط المؤلف موضوع السورة بالتي قبلها مباشرة في النزول وهي (المرسلات/ 77 مصحف/ 33 نزول).

والموضوع الأول هو معالجة المكذبين بيوم الدين، وتضيف إليه تكذيبهم بالرسول ﷺ، بحجة أنه بشر مثلهم، زاعمين أنه أمر عجيب مستبعد، وكذلك إحياء الموتى أمر عجيب مستبعد بعد الفناء، وجاءت المعالجة تكميلية لما في سورة المرسلات وما قبلها في نجوم التنزيل وغير مكررة تكرارا تطابقيا، والمعالجة فكرية نفسية للإقناع باستثارة محوري الرغب والرهب.

واشتملت على معالجة لنفس الرسول ﷺ وقلبه تجاه ما يلقاه من التكذيب بأقوال جارحة، فأوصاه الله بأن يعتصم بالصبر، ويكثر من التسبيح والذكر، وأن يكون تسبيحه قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وأثناء الليل، وعقب الصلوات. «وأبان له في هذه المعالجة أن وظيفته التبليغ من غير إكراه للناس، ومتابعة التذكير بالقرآن من يخاف وعيد»[2].

4) 4- دروس سورة (ق)

قسّم المفسر سورة (ق) إلى اثني عشر درساً، كل درس اشتمل على عدة آيات مترابطة وهي[3]:

الدرس الأول: تضمن بعد القسم بالقرآن المجيد عرض مقالة المشركين إذ كذبوا الرسول وبنبأ البعث وفصل القضاء والجزاء.... بأسلوب الاستفهام التعجبي الإنكاري، وهو الآيات من (1-3).

(1) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي ص47 49.

(2) انظر معارج التفكر 3/ 11-12.

(3) انظر معارج التفكر 3/ 12- 15.

الدرس الثاني: تضمن دفع توهم استحالة إعادة أجساد الموتى بعد أن تفتت واختلطت بالتراب، وبيان واقعهم النفسي المضطرب الذي يحول دون إدراكهم حقائق الأمور. وهو الآيتان (4-5).

الدرس الثالث: تضمن عرض أدلة من الظواهر الكونية تدل على أن الله تعالى قادر على بعث الموتى بما يشبه إحياء الأرض بعد موتها. وهو الآيات (6-11).

الدرس الرابع: عرض لنماذج المكذبين الأوليين، وتحقق وعد الله لهم بإهلاكهم ليكونوا عبرة، وهذا إنذار للمشركين. وهو الآيات (12-14).

الدرس الخامس: تضمن تساؤلاً يكشف أن الله ﷻ لم يعيَ بالخلق الأول بدليل استمراره، وأن المكذبين في لبس من أمرهم. وهو الآية (15).

الدرس السادس: بيان أن الله الذي خلق الإنسان يعلم ما توسوس به نفسه وقد خلق له ملكين مرافقين له عن اليمين وعن الشمال يسجلان أعماله الظاهرة والباطنة. وهو الآيات (16-18).

الدرس السابع: وهي عرض ساعة الموت وما يشهد فيها الميت من أحداث أمور ما بعد الموت، البعث عقب النفخ في الصور، ومجيئه لموقف الحساب مع سائق من الملائكة وشهيد يشهد عليه بما قدّمه في الحياة الدنيا. وهو الآيات (19-22).

الدرس الثامن: تضمن عرض لحساب الكافر العنيد، والحكم عليه وعلى نظرائه من الإنس والجن، ومنهم قرينه الشيطان الذي يوسوس له. وهو الآيات (23-29).

الدرس التاسع: تضمن عرضاً لمشاهد يوم الدين التي تتعلق بجهنم، وبالجنة وإزلافها، وخطاب الذين يدخلون فيها بأن يكونوا من المنعمين. وهو الآيات (30-35).

الدرس العاشر: تضمن توجيه إنذار للمكذبين للرسول ﷺ وليوم الدين بسنة الله في إهلاك أمثالهم، كما فعل بكفار القرون الأولى من إهلاك شامل ليعتبر من أصغى للبيان أو شهد آثارهم. وهو الآيتان: (36-37).

الدرس الحادي عشر: درس مدني التنزيل ضم إلى سورة مكية التنزيل، رأى المفسر أنها كانت مراعاة لاقتضاءين، **أولهما**: أن سبب نزوله الرد على مقالة اليهود في المدينة الزاعمين أن الله بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، استراح في اليوم السابع فجعله مقدساً، مكذباً لهم في ذلك.

الثاني: المناسبة الفكرية اقتضت ضمّه إلى سورة (ق) المكية. وهو الآية (38).

الدرس الثاني عشر: تضمن معالجة حالة الرسول ﷺ النفسية من أقوال المكذبين، وكذلك حالة الصحابة من حملة رسالته، بأنه مبلّغ عن ربه مذكر بالقرآن وليس بجبار عليهم. وهو الآيات (39-45 آخر السورة).

5) التدبر التحليلي للدروس

يشرع المفسر بتفسير الآيات حسب تقسيمه للدروس بشكل تفصيلي، حيث استغرق التدبر اثني عشر درساً[1]، اتبعها بملحقين سيأتي الكلام عنهما.

وخطواته في التدبر التحليلي على الوجه الآتي:

أولاً: **يبدأ بالقراءات** ولا يكتفي بما أشار إليه في فقرة نص السورة وما فيها من فرش.

ففي سورة (ق) وقف على كلمة (**مِتْنَا**) فيقول: قرأ نافع، وحفص، وحمزة والكسائي وخلف (مِتْنَا) بكسر الميم، وقرأ باقي القراء [مُتْنا] بضم الميم، والقراءتان وجهان عربيان جائزان.

(1) انظر: معارج التفكر 3/ 15- 139.

ثانياً: التدبر

ففي سورة (ق) التي تبدأ بالحروف المقطعة يحيل إلى ما تكلم به عنها في سورة سابقة في التنزيل وهي في مطلع سورة القلم (القلم/ 68 مصحف 2/ نزول).

وإذا ما رجعنا إلى سورة القلم وتبدأ بالحرف (ن) كشف – قبل أن يذكر اختياره– حقيقة أن المشركين لم يجدوا في هذه الأحرف المقطعة غرابة أو مطعنا ينتقدون به أو يشّهرون بالقرآن الكريم، مما يدل على أن افتتاح الكلام بأمثالها لا ينبو عن أساليبهم وعن أصول لغتهم، خصوصا إذا ما عرفنا أن كل السور التي تبدأ بها مكية عدا البقرة وآل عمران المدنيتين.

وبعدها اختار أربعة وجوه من بين الآراء الكثيرة مما يصلح أن يكون كل منها مرادا ومع ذلك قال الله أعلم بمراده.

والوجوه الأربعة التي اختارها ألخصها بما يأتي[1]:

الوجه الأول: هي بمثابة أدوات التنبيه، ويوضح هنا أن العرب كان لها أدوات للتنبيه في الكلام مثل (ألاَ– أمَا)، والغرض منها استثارة انتباه السامع، ولكن الحروف المقطعة للتنبيه لم تستعمل عندهم لاستثارة السامع، وبما أن المألوف لم يحرك ساكنا، أو ينبه غافلا، فإن الجديد غير المألوف إذا طرق السمع تحرك الساكن وتنبه الغافل، وإذا ما تأملنا الحروف المقطعة وجدنا فيها تحقيق التنبيه التام بما لا مزيد عليه.

الوجه الثاني: تشير هذه الحروف إلى ما تضمنه القرآن المجيد من تحدٍ للإتيان بمثله، أو بسورة مثله، لأن مادة القرآن التي ألفت منه آياته وسوره إنما هو الكلام الذي يستعملونه في تخاطبهم وآدابهم وشعرهم ونثرهم، وحروف التهجي العربية تمثل المادة الأولى في الكلام، ويقرِّب هذا المعنى أن معظم السور التي افتتحت بحروف التهجي ابتدأت بالكلام عن القرآن المجيد.

(1) انظر: معارج التفكر 1/ 205–208.

الوجه الثالث: هي أسماء للسور، فيقال: سورة نون، وسورة (ق) وسورة (صاد) وقد ذكر هذا الرأي أكثر المتكلمين، واختاره الخليل وسيبويه من أئمة اللغة العربية.

الوجه الرابع: مأخوذة من كلمات على طريقة العرب في ذكر حرف من كلمة، وهم يريدونها كقولهم: قلت لها: «قفي» فقالت: قاف، أي وقفت. ونوه إلى تأويلات لابن عباس لها، ورأي السلف بأنها مما استأثر الله بعلمه فهي سر من أسرار القرآن.

ومن ثم يبدأ بشرح الكلمات شرحا وافيا وهو الخبير باللغة المتبحر بها المكثر للتدبر بكلمات القرآن، فيقول: «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» الواو للقسم حيث يقسم الله ﷻ بالقرآن الذي وصفه بأنه مجيد.

ويشرح كلمة «الْمَجِيدِ» فيقول: أي الشريف الرفيع المقام العلي المنزلة، بسبب ما فيه من كمالات جليلات عظيمات تدل على أنه كلام الله ﷻ وليس كلام بشر مهما ارتقت منزلة ذلك البشر.

ويستطرد فيبين تصريف كلمة المجيد من (فعيل) التي تدل على المبالغة والكثرة لصيغة اسم الفاعل، وهي لله تدل على غاية كمال الصفة، وهي محولة هنا من اسم الفاعل (ماجد) وكلاهما (الماجد والمجيد) من أسماء الله الحسنى.

ثم يبين أن هذا الوصف لم يرد في القرآن إلا وصفا لله مرتين، وللقرآن مرتين، وللعرش مرة واحدة في قراءة «**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**» [البروج: 15]. ثم يذكر الصيغ الأخرى لها وهي المجد، والتمجيد.

ويعود للناحية الإعرابية للقسم ويشير إلى أن جواب القسم محذوف.

وبتدبره للنص وتأمله فيما جاء بعده في تعجب المشركين أن يأتيهم بشر منذر لهم، يدرك أن المقسم عليه قضيتان: **الأولى**: صدق رسالة محمد ﷺ وأنه رسول الله حقا لأن القرآن المجيد الآية الكبرى على صدقه.

والأخرى: صدق إنذار الرسول ﷺ بعذاب الله وصدق ما أخبر به مما يجري في البعث وما بعده.

ويعود المفسر إلى الإعراب بتقدير جواب القسم فيقول: «والقرآن المجيد لمحمد رسول الله حقا وصدقاً، وهو صادق فيما يبلغ عن ربه، ولإنذاره بعذاب الله يوم الدين حق وصدق، وللبعث بعد الموت للحساب، وفصل القضاء وتحقيق الجزاء في اليوم الآخر حق وصدق»[1].

وبعدها يفصل في شرح معنى هذا القسم بأن القسم بالقرآن هو قسم بآيات الله الباهرات، وأشار إلى ضرورة تدبر هذه الآية الذي يوصل إلى عناصر إعجازه، وأن هذا القسم موجه لمن هم مؤهلون لإدراك عناصر إعجازه من أولي الألباب، ولهذا لم يوجّه هذا الخطاب للكفار بل تحدث عنهم بضمير الغائب، يستحث من كان منهم ذا لب للتفكر والتدبر فيستفاد من القسم بتصديق الرسول ﷺ.

ثم ينتقل إلى ما بعدها من الآيات من نفس الدرس وهي ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾؟؟! [سورة ق: 2-3].

فيبدأ بالإعراب ببيان معنى (بل) فيقول:

«بل» حرف إضراب، والذي يظهر لي إنه إضراب عن كلام مطوي مقدّر ذهناً يدل عليه القسم بالقرآن المجيد، أي: لكن الذين كفروا لم تؤثر فيهم معجزة القرآن المجيد، ولم يستفيدوا من دلالاتها فيؤمنوا بالرسول وبما جاء به، بل أنكروا رسالة الرسول محمد وأنكروا البعث يوم القيامة للحساب وفصل القضاء، وتحقيق الجزاء، باستعمال أسلوب التعجب والاستغراب فقط، دون حجة أو أي دليل يصلح للمناقشة والبحث»[2].

(1) الميداني، معارج التفكر، 3/ 17.

(2) معارج التفكر 3/ 18- 19.

وهكذا يستطرد بعدها في قوله تعالى: «**بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ**» ببيان معنى (عَجِبَ) وتصاريفها وسبب عجبهم، وكيف أنهم ستروا ما عرفوا من الحق فاستحقوا الجزاء الذي يستحقون.

وفي تدبره يوضح لفتة عن علاقة هذه الآيات بما ورد في السورة التي قبلها تنزيلا وهي سورة المرسلات، حيث جاء الحديث في سورة (ق) عن الذين كفروا بالرسول وبيوم الدين من مشركي مكة بضمير الغائبين «**بَلْ عَجِبُوا**» دون أن يسبق في السورة حديث عنهم، اعتمادا على قرائن: القرينة الأولى: أن سورة (ق) نزلت بعد المرسلات التي دارت آياتها حول معالجة المكذبين، وتكرر فيها «ويل يومئذ للمكذبين» آية: 15، والثانية: من واقع الحال إبان نزول السورة، وهنا يوضح أسلوب القرآن في اختيار الكناية عنهم بضمير الغائبين مع وجود القرائن الدالة عليهم، من أحكم البيان وأخصره وأكثره إيجازا، مع خلو العبارة من إيهام غير المراد، وهذا من روائع البيان القرآني[1].

ثم يسترسل المفسر في بيان بواعث التعجب من قبل المشركين، والأمور المتعجب منها، ووقف على عبارة (منذر منهم) والإنذار يأتي بعد الإنكار والتكذيب للتخويف والتحذير. وهكذا يتبع المؤلف هذا الأسلوب في بقية الدروس.

الربط وبيان العلاقة بين الدروس: مع أن المفسر لا يتكلم عن ضرورة العلاقة بين الدروس أو المقاطع بل يقول بالارتباط الشجري، ولكنه يوضح في سور (ق) تسلسل الموضوع بين الدرس الأول والثاني وهو الآيتان 4-5.

قال تعالى: ﴿ **قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ** ﴾ فيرى في هاتين الآيتين دفع توهمات منكري البعث والتي مر ذكرها في الدرس الأول من استحالة بعث الأجساد بعد تحللها وتفرق ذراتها في التراب.

(1) معارج التفكر 3/ 18.

وهكذا سار المفسر مع بقية الدروس متدبرا محللا، وقد يقتضي الدرس تفريعات وتفصيلات، ففي الدرس الثالث مثلا بعد ذكره القراءات، ذكر عنوانا جانبيا: نظرة تدبرية عامة حول العناصر التي اشتمل عليها الدرس.

ومن منهجه: تفسير القرآن بالقرآن وهو أول ما يتبعه المفسرون مع اختلافهم فيه قلةً وكثرة، فعندما قام بشرح الآية ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ {6} استشهد بآيتين لبيانها من سور أخرى، وهما قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الحجر: 16]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ ﴾ [الصافات: 6-10].

ملحقا تفسير سورة ق

من القضايا التي قام بها المفسر هو الملاحق عقب بعض السور، وهي تفسير موضوعي لقضايا جاءت بارزة في السورة التي انتهى منها ويجمع أطرافها من السور الأخرى في القرآن.

ففي سورة (ق) محل البحث ذكر المفسر ملحقين:

الملحق الأول: مستخرجات بلاغية من السورة[1] حيث ذكر المفسر ما فتحه الله عليه من بلاغيات متنوعة في سورة (ق)، جاءت في سبعة أنواع:

أولاً: القسم بما يصلح أن يكون دليلا على صحة المقسم عليه وصدقه، وجاء ذلك في الآيتين الأوليين.

ثانياً: الإيجاز البديع في طي عبارات يمكن أن يدرك المتدبر دلالاتها بالاستنتاج، منها حذف جواب القسم (والقرآن المجيد)، فذكر عشرة شواهد لها من السورة.

(1) انظر: معارج التفكر 3/ 140-145.

ثالثاً: استعمال ضمير المتكلم العظيم في البيانات التي تتضمن التحدث عن ظاهرة من ظواهر ربوبية الله جل جلاله، وذكر لها أمثلة كالآية رقم 7، و43.

رابعاً: تأكيد الخبر ببعض المؤكدات لاقتضاء حال المقصودين، كالقسم، و(قد) في عبارة (قد علمنا) و(لقد) وإن والجمل الاسمية، ووجود مؤكدين، وبحرف الجر الزائد.

خامساً: تقديم الأحداث المستقبلية التي ستحدث وكأنها أحداث تجري الآن، أو كأنها جرت في الماضي، لتأكيد أنها ستقع حتما، وهذا فن مبتكر في أساليب القرآن كقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ ومثلها في الآية 21، 22، 24، 32 من السورة.

سادساً: التضمين: وهو تضمين كلمة معنى كلمة أخرى، وجعل الكلام بعدها مبنيا على الكلمة غير المذكورة، وهذا فن رفيع من فنون الإيجاز في البيان القرآني، ونجده في النص: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: ذلك ما كنت تحيد عنه نافرا من كل بيان حوله.

سابعاً: الكناية، وهي اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب، للدلالة به على معنى آخر لازم له أو مصاحب له، أو يشار به عادة إليه لما بينهما من الملابسة بوجه من الوجوه كما في قوله: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ كناية عن عبارة: لم أمتلئ جوابا للسؤال: «هل امتلأت؟».

الملحق الثاني: الوصف بالبركة في القرآن الكريم[1]، ويدخل هذا في التفسير الموضوعي حيث يجمع في دراسته كل المواضع التي وردت فيها البركة.

بعد أن عرّف البركة في اللغة بأنها: النماء والزيادة، ومنها ما يكون في الحسيات ومنها ما يكون في الماديات، ذكر عنوانا جانبيا: **الموصوف بالبركة في القرآن المجيد** وأن

(1) انظر تفاصيلها في تفسيره معارج التفكر: 3/ 145-167.

هذه البركة متحققة بالقرآن، وفي رسله وفي الأرض كلها، والماء المنزل من السماء، وفي ليلة القدر، وشجرة الزيتون، وفي التحية[1].

وقد جمع المؤلف كل الآيات التي ذكرت البركة وصنفها إلى تسعة عناصر، وتحت كل عنصر مجموعة من الآيات تحمل نفس الغرض.

أولاً: الوصف بالبركة العظمى لذات الله وصفاته. وذكر تحتها تسعة نصوص من مختلف السور.

ثانياً: وصف القرآن بأنه كتاب مبارك: ذكر تحته أربعة نصوص.

ثالثاً: بيان أن الله قد منح البركة بعض عباده الصالحين، ذكر فيها الآيات التي ذكرت البركة على الأنبياء كنوح عليه السلام في الآية 48 من سورة هود، والبركة على إبراهيم عليه السلام وأهل بيته وإسحق، وعلى موسى وعيسى وأخيرا الرسول محمد ﷺ.

رابعاً: بيان أن الله عز وجل قد بارك في كل الأرض، مثل ما جاء في سورة فصلت الآية 10.

خامساً: البركة الزائدة التي جعلها الله تعالى لأمكنة خاصة، كالبيت الحرام في مكة، والبقعة المباركة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام، ومحل هبوط نوح ومن معه بعد النجاة، والمسجد الأقصى وما حوله.

سادساً: البركة في ليلة القدر.

سابعاً: البركة في الماء الذي ينزل من السماء، وذكر فيه نصين.

ثامناً: البركة في شجرة الزيتون.

تاسعاً: البركة في التحية التي يسلم بها المؤمن على نفسه إذا دخل بيتاً.

(1) انظر: معارج التفكر 3/ 145-146.

وبهذا يتفق الشيخ الميداني مع منهج التفسير الموضوعي لأن المختصين عرفوا التفسير الموضوعي بأنه: «جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية» وهناك تعاريف أخرى قريبة من هذا التعريف[1].

وبهذا نجد أن ما قام به المفسر الشيخ عبد الرحمن في الملاحق هو عين التفسير الموضوعي لموضوعات القرآن الكريم، حيث يقوم بجمع الآيات المتفرقة في سور القرآن الكريم في الموضوع الواحد ويصنفها إلى مقررات ليخرج بمفهوم جامع لها يعالج قضية من القضايا تحقق مقاصد القرآن.

المبحث الثالث
أهمية التفسير وقيمته العلمية مقارناً بغيره

يعد الشيخ عبد الرحمن من الطبقة العالية من المؤلفين، كما يعد تفسيره من أجود كتب التفسير، خاصة وقد بذل فيه المؤلف جهدا خاصاً أعمل فيه فكره، وكتبه بأسلوبه، ولم يملأه بالنصوص المنقولة عن المفسرين جمعاً أو اختصاراً للأقوال، بل ناقش وحلل واستخلص ما توصل بعد التدبر إلى الترجيحات المتميزة.

وأهم المصادر التي رجع إليها الشيخ في تفسيره في المأثور: تفسير الطبري، وابن كثير، وفتح القدير للشوكاني، وفي التفسير بالرأي: الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان، وأنوار التنْزيل للبيضاوي، وروح المعاني للآلوسي. ومن المعاصرين: تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ولكنه مع استفادته من هذه المصادر لم يكن مقلِّدا ولا محاكيا، «بل يقتطف من كل الثمرات، ويخرج منها عسلاً مُصفًّى فيه شفاء للقلوب، وغذاء للعقول. فله اختيارات

(1) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص 16.

صائبة، وآراء موفّقة، واجتهادات مُسدَّدة.. وإنَّ المقارنة بين ما يكتبه ويقدمه، وبين كتب التفسير المتقدِّمة، تظهر بوضوح اختياراته الراجحة.

أصدر الشيخ بعد ثلاث سنوات من صدور كتابه قواعد التدبُّر الأمثل أنموذجاً علمياً يطبق فيه هذه القواعد في كتابه تدبُّر سورة الفرقان في وحدة موضوع السورة، بيَّن فيه المؤلف الموضوع الذي تدور عليه آيات السورة، وقد اكتشف بعد الدراسة المتأنية أن موضوع سورة الفرقان، تُعبِّر عنه الآية الأولى منها: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾. فموضوعها يدور حول أربعة خطوط: (الله، القرآن، الرسول، المرسل إليهم).

ومن أهمية هذا التفسير **الملاحق للتفسير** بعد بعض من سور القرآن الكريم فقد اعتنى الشيخ في تفسيره بجمع الآيات التي تدور في فَلَك موضوع واحد من القرآن كلِّه، ودرسها دراسةً تكامليَّة، وجعلها في ملاحق بلغ مجموعها أكثر من خمسين ملحقاً، وكثيرٌ منها يمكن إفراده في كتاب مستقلّ. ويمكن الإشارة إلى عناوين هذه الملاحق المهمة حسب منهجه في مراعاة ترتيب النُّزول لكتاب الله تعالى: **في سورة الفاتحة** أربعة ملاحق مهمة لبعض ألفاظ السورة: سبيل وطريق ومنهاج وصراط[1]، و**في سورة الأعلى**: التسبيح في القرآن[2]، وبعد سورة **الفلق والناس** أربعة ملاحق[3]،

(1) راجع: معارج التفكر 1: 319 – 373.

(2) راجع: معارج التفكر 1: 467–480. ومثل ذلك بعد سورة الضحى: إسناد فعل (وَجَد – يَجِد) إلى الله في القرآن 1: 576–579. وبعد سورة الشرح: فيما يستفاد للدعوة والدعاة من سورتي الضحى والشرح 1: 597–600. وبعد سورة العصر: الإنسان مملكة 1: 620–625.

(3) راجع الملاحق: نظرة عامة حول ما جاء في السورتين معارج التفكر 2: 43–44. وفلسفة التمكين من فعل الشر 2: 45–50. والاستعاذة بالله في القرآن والسنة 2: 51–62. وحول السحر 2: 67–73.

ومثل ذلك بعد سورة **النجم وعبس والشمس**[1]، وكذلك بعد **سورة التين والمرسلات**[2]، وسبق الكلام عن الملحقين **لسورة ق**.

وتبقى الملاحق الأخرى لسورة **البلد والطارق** ثلاثة ملاحق[3]، ولكل من سورة **القمر وص** ملحقان[4]، ولسورة **الأعراف** سبعة ملاحق[5]، وغيرها من السور[6].

ويظهر تميز تفسير معارج التفكر بمقارنته مع مثيله في المنهج فقد سبق الشيخَ في هذا المنهج عالمان معاصران: محمد عزة دروزة 1404هـ في تفسيره الحديث[7]،

(1) راجع الملحقين: معالجة المشركين بشأن عقيدتهم في الملائكة معارج التفكر 2: 172-192، وسياسة الداعي في أحوال المدعوّ الذي لم يستجب 2: 193-206. والملحق بعد سورة عبس: وظيفة القرآن والرسول ﷺ وظيفة بيان وتذكير 2: 261-280. وبعد سورة الشمس: الشمس والقمر والأرض والليل والنهار في القرآن 2 :332-346.

(2) راجع: الأمن بمكة البلد الحرام معارج التفكر 2: 421-430. في سورة المرسلات: الرياح في القرآن المجيد 2 :421-430.

(3) راجع: معارج التفكر 3: 220 – 248، 3: 287- 299، 3 : 300-312 .

(4) راجع: معارج التفكر 3: 445-462، 3: 647-729.

(5) راجع: معارج التفكر 5: 147-516.

(6) راجع: معارج التفكر: سورة الجن ويسن والفرقان وفاطر ومريم وطه والواقعة والشعراء والنمل وغيرها.

(7) ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة1961م ، ط2 دار الغرب الإسلامي 2000م، وللدكتور فريد مصطفى سليمان ت 1424هـ دراسة نقدية بعنوان: «محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم»، وللدكتور عبدالحكيم الأنيس رسالة ماجستير عن هذا التفسير أيضاً.

والشيخ عبدالقادر ملا حويش 1978م في تفسيره «بيان المعاني»[1]، وهذا تعريف موجز بمنهج التفسير الحديث لعزة دروزة وأبرز خطواته في التفسير[2]:

1 – تجزئة المجموعات والفصول للسورة إلى جمل تامة.

2 – شرح الكلمات والتعابير الغريبة بإيجاز ودون تعمّق لغوي ونحوي وبلاغي.

3 – شرح مدلول الجملة شرحا إجماليا، حسب المقتضى المتبادر بأداء بياني واضح.

4 – إشارة موجزة إلى ما روي في مناسبة نزول الآيات أو في صددها، وما قيل في مدلولها وأحكامها.

5 – تجلية ما تحتويه الجملة من أحكام ومبادئ وأهداف وتلقينات وتوجيهات وحكم تشريعية وأخلاقية

واجتماعية وروحية، وملاحظة مقتضيات تطور الحياة والمفاهيم البشرية.

6 – تجلية ما تحتويه الجملة من صور ومشاهد عن السيرة النبوية والبيئة النبوية، لأن هذا يساعد على تفهم ظروف الدعوة وسيرها وأطوارها، وجلاء جوّ نزول القرآن الذي ينجلي به كثير من المقاصد القرآنية.

7 – الاهتمام لبيان ما بين آيات السور وفصولها من ترابط، وعطف الجمل القرآنية على بعضها سياقا أو موضوعا، لتجلية النظم القرآني والترابط الموضوعي فيه.

8 – الاستعانة بالألفاظ والتراكيب والجمل القرآنية في صدد التفسير والشرح والسياق والتأويل والدلالات والهدف والتدعيم والصور والمشاهد، كلما كان ذلك ممكنا.

---

(1) ط الترقي بدمشق 1963م، في 6ج، في 2600 ص، وعليه نقد مختصر للدكتور فريد السابق ذكره، ص 130–132.

(2) راجع: مقدمة التفسير الحديث 1/ 7– 9.

9- عرض المعاني بأسلوب قريب المأخذ سهل التناول والاستساغة، وشرح الكلمات والمدلولات والموضوعات المهمة المتكررة.

وقد أكد أهمية النقطة الخامسة بقوله: «وهذه نقطة أساسية وجوهرية في تفسيرنا وهي كذلك في تفسير القرآن والدعوة القرآنية كما هو المتبادر وقد اهتممنا لها اهتماما عظيما».

ويلاحظ بعد بيان منهج التفسير القرآني لعزة دروزة الفرق بين منهجي الميداني ودروزة وذلك فيما يأتي:

1) في الأهداف والظروف والتأليف يأتي تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر مواكباً لكتابه التدبر الأمثل، والهدف الواضح لتفسيره بحسب ترتيب النزول، الاستعانة بعرض تسلسل الوقائع والأحداث على التدبر، أما الآخر فقد واكب تأليفه للتفسير تقديم السيرة النبوية الشريفة، فالهدف هو تقريب تفسير القرآن بحسب نزوله لفهم السيرة النبوية الشريفة.

2) تفسير المعارج أكثر تفصيلا وتحليلا من التفسير السابق، ولذلك جاء حجمه أكبر من التفسير السابق، علما بأنه لم يكمل تفسيره وأنجز قرابة الثلثين منه فقط.

3) تتحقق عناصر التفسير الموضوعي في معارج التفكر بصورة أوضح من التفسير السابق وخاصة لوجود الملاحق المرادفة في تفسير أكثر السور.

4) يراعي تفسير معارج التفكر الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة بصورة أوضح من التفسير الآخر.

مزايا تفسير المعارج التدبُّري مقارنا بالتفسير الموضوعي

يمكن عرض أبرز مزايا تفسير معارج التفكر فيما يأتي:

1) ركَّز الشيخ الميداني عنايته على وحدة موضوع السورة القرآنية، وبيان ارتباط آياتها بهذا الموضوع.

2) قسَّم السورة القرآنية إلى دروس مترابطة لبيان وحدة موضوع السورة العام، وإتباعه كل درس بنظرة إجمالية عامة.

3) جاء اهتمامه في إيضاح المفردات القرآنية، بالرجوع إلى أمهات المعاجم العربية لاختيار الملائم من معاني المفردات والأكثر مناسبة للسياق، بل يلجأ أحيانا إلى الاستقراء والاستقصاء للكلمة القرآنية لتحديد مدلولها بدقة.

4) رصد التفسير القراءات القرآنية، للكشف عن المعاني الجديدة، وما فيها من التنويع في الأداء البياني، والأداء الفني الجمالي.

5) وقف التفسير على القيم البلاغية الرائعة التي تزيد المتدبِّر للقرآن فهماً وتذوُّقاً لبلاغته وتمرُّساً بمعرفة أسلوبه.

6) وأخيراً يبرز الجانب المعرفي والتربوي والسلوكي في السورة، وتسلسل البناء الفكري التكاملي للموضوعات التي تشتمل عليها كل سورة، وكذلك التدرُّج التعليمي والتربوي، ويعنى بالنظرات التفصيليَّة للمعلومات والقضايا والأفكار الواردة السورة.

أما في تفسيره للسور في معارج التفكر فنراه يتفق مع بقية المختصين بذكر موضوع السورة، وهو محور السورة وأهدافها، والتي تؤكد الوحدة الموضوعية لها، لكنه يختلف عن مناهج المختصين في جوانب أخرى منها:

1) اختلاف المصطلحات، حيث يبدأ المفسر في التفسير الموضوعي بمقدمات للسورة قد يكون عنوانها «بين يدي السورة» لكن معارج التفكر يختلف عنهم حيث يذكر النص كاملا مع ما فيها من فرش القراءات، ويعدها ما ورد بشأنها من السنة النبوية.

2) التفصيل في القراءات في منهج معارج التفكر، وفي التفسير الموضوعي تذكر القراءات التي يتغير بها المعنى فقط.

3) عدم تفصيل المناسبات، ففي كتب التفسير الموضوعي لا بد من ذكر أنواع متعددة من المناسبات، منها مناسبتها مع ما سبقها من السور في ترتيب المصحف، في حين يكتفي الشيخ بذكر علاقتها بما سبقها في التنزيل، ولا يجعل المناسبة بين الجمل والآيات أو المقاطع والدروس مسألة لازمة، بل يقول بالعلاقة الشجرية بتعلق الدرس بفرع من فروعها، وليس شرطا بما يجاورها.

4) يفصّل الشيخ في التفسير مبيناً اللغة بشكل مستفيض، لكن الآخرين في التفسير الموضوعي لسور القرآن يكون تفسيرهم إجمالياً، مع الشرح بإيجاز في الهدايات التي تعقب المقطع[1].

وبهذا نجد كثيرا من ملامح التفسير الموضوعي للسور ضمن تفسيره معارج التفكر ودقائق التدبر، في حين نجدها أكثر وضوحا ومتحققة في الملاحق في تناول الموضوع القرآني.

(1) راجع منهج التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم في مقدمة كتاب «التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم» ط جامعة الشارقة 2010م.

الخاتمة

جاء البحث في تمهيد وثلاثة مباحث: **التمهيد** عن التفسير الموضوعي في السورة والموضوع. و**المبحث الأول** للتعريف بالمفسر ومنهجه في التفسير، و**المبحث الثاني** عن ملامح التفسير الموضوعي لمعارج التفكر من خلال سورة (ق)، و**المبحث الثالث عن** أهمية هذا التفسير وقيمته العلمية مقارناً بغيره.

وتوصل إلى النتائج الآتية:

1) اتبع تفسير معارج التفكر ترتيب نزول السور، متفقاً مع التسلسل الزمني للسيرة النبوية لمعالجة قضايا مماثلة في مجتمعنا، ومركزاً على تحقيق هدفه الخاص وهو التدبر الأمثل بإبراز وحدة موضوع السورة القرآنية وارتباط آياتها.

2) يلتقي تفسير معارج التفكر في منهجه التحليلي للنص بمنهجية التفسير الموضوعي في أغلب خطواته بالتركيز على موضوع السورة (المحور)، وتقسيمها إلى دروس (مقاطع)، واستخلاص الهدايات من النص بما يبرز جمعه بين المنهجين.

3) تختلف منهجية معارج التفكر عن منهجية التفسير الموضوعي بعدم تركيزه على المناسبات المتنوعة بين الآيات أو المقاطع، لأنه يراعي العلاقة الشجرية للسورة الواحدة، لكنه يذكر التفاصيل في القراءات والقضايا اللغوية، ويبرز الجوانب البلاغية في شرحه للآيات.

4) تفرد تفسير معارج التفكر بوجود الملاحق في نهاية بعض السور بما يحقق التفسير الموضوعي لقضايا القرآن، باختياره الموضوعات البارزة في تلك السورة، وجمع مثيلاتها من سور القرآن ويصنفها ليخرج بموضوع كلي متكامل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

تفسير القرآن الكريم: محمد عزة دروزة ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة 1961م، وط الترقي بدمشق 1963م، في 6ج، في 2600 ص. ط2 دار الغرب الإسلامي 2000م.

التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: صلاح عبد الفتاح الخالدي ط دار النفائس للنشر والتوزيع، عمّان، 2001م.

التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه: زياد دغامين، ط1 دار عمار، عمان 2007م.

دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: زاهر عوض الألمعي، ط2 الرشد، الرياض 2001م.

عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر (زوجي كما عرفته)، عائدة راغب الجراح، ط دار القلم، دمشق 2001م في 160ص.

لمحات من كتاب معارج التفكّر ودقائق التدبُّر للعلامة عبد الرحمن حبنكة الميداني: مجد مكي، مقال على شبكة الأنترنيت. http://www.islamsyria.com/

مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم، ط 4، دار القلم، دمشق، 2005م

محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم: فريد مصطفى سليمان، ط مكتبة الرشد، الرياض، 1424هـ.

معارج التفكر ودقائق التدبر: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط1 دار القلم، دمشق 2000م.

مكايد يهودية عبر التاريخ: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط 7، دار القلم، دمشق- سورية، 2002م.

موقع يكبيديا على شبكة المعلومات (الإنترنت).